التربية في المجتمعات المعاصرة:

لقد كان عصر التنوير عصر التوارث بحثاً عن النفس، بينما كان القرن التاسع عشر عصر بلورة الآراء والأفكار والنظريات والمبادئ وتحولها إلى واقع، إنه عصر التقدم العلمي والتكنولوجي. لقد بدأ باستقلال أمريكا عن أوروبا سياسياً، وان بقيت تابعة لها من الناحية الفكرية، وكان مقدمة للاستقلال الفكري التدريجي لأوروبا مما مهد الطريق لها لتصبح قائدة العالم الغربي الرأسمالي في القرن العشرين. وفي بداية هذا القرن تولى نابليون بونابرت (1769–1821) السلطة في فرنسا وكان له تأثير كبير على فرنسا خاصة وأوروبا عامة (عبد الغني عبود ،ص296).

لقد تميز هذا القرن بانتشار أكثر وأوسع للروح القومية واشتدادها، والتي كانت أثر من آثار الثورة الفرنسية، مما ادى إلى حلول التعصب الوطني محل التعصب الديني الذي كان منتشراً من القرن السابع عشر . وكانت فكرة القومية هي الإطار الايدولوجي الذي ميز حياة أوروبا في هذا القرن . لقد أثرت هذه الفكرة على اشتعال نار الثورة الصناعية، كما أنها ساهمت في توجيه أوروبا إلى المستعمرات خارج القارة الأوروبية، حيث توسعت في أغلب بقاع العالم واثرت على أنظمة التعليم فيها .

وقد كان للتطور العلمي الكبير الذي تحقق أثر في دعم وتوطيد سلطات الدولة ومفهومها على حساب الكنيسة وخاصة في مجال التعليم، حيث أصبح ذا صيغة دنيوية، وادخل نظام تعليم قومي خاضع للدولة ، وأصبح كل شيء في الحياة يسير لتدعيم سلطانها. لقد كان للثورة الفرنسية تأثر كبير وخاصة باعتبارها الرائدة للتغيير الايدولوجي الذي طرأ على الغرب في هذا القرن، لقد كان نابليون يؤمن أن مسألة التعليم هي من أهم المسائل السياسية ايضاً، حيث لن تكون هناك دولة سياسية قوية وذات استقرار متين، ما لم تكن لديها مؤسسات تربوية تدرس فيها مبادئ ومناهج مقررة واضحة. وفي هذا المجال رأى أنه لا بد للطفل من دراسة المبادئ المقررة منذ صغره لتعزيز التجسيد الحقيقي للأمة، فقرر عام 1806 إنشاء (الجامعة الامبراطورية) التي لم تكن جامعة اكاديمية، وإنما وزارة مركزية للتربية تشرف على ادارة التعلم في فرنسا. فنشأ نظام التعليم المدني الحديث مستقلاً عن المدراس الكاثولوكية. ومنذ ذلك التاريخ صار هناك نظامان فرنسيان للتعليم أحدهما مدني تشرف عليه الدولة والآخر ديني تشرف عليه الكنيسة ومستقل عن سلطة الدولة(عبد الغني عبود ،ص302).

لقد أصبحت القضايا التربوية من القضايا العملية الحياتية، وركز في المناهج على حاجات واهتمامات المتعلمين، وهذا كان تتمة للنزعة الواقعية بأقسامها الثلاثة. لقد بوشر بوضع التطبيقات التربوية انطلاقاً من الأسس العلمية، أي أن التربية العملية (Practical Education) أصبحت هي الأساس، بالإضافة إلى الاعتماد على الأسس العلمية والعقلية. وهذا كله جاء نتيجة نمو النزعة التجريبية المعتمدة على المشاهدة والتجربة التي بدأت بوادرها في الظهور قبل هذا القرن، ولكنها تعمقت ونمت

وأصبحت جزءاً من آليات المجتمع. وازداد في هذا القرن الاهتمام بالأسس النفسية للعملية التعليمية . التعلمية والتركيز في المناهج بصورة واضحة على التربية القومية .

وقد كانت النزعة السيكولوجية ـ كالنزعتين العلمية والاجتماعية ـ وليدة نزعة روسو الطبيعية .

أما خواصها فكانت متشابهة مع الحركتين العلمية والاجتماعية اللتين سادتا في هذا القرن . وقد تميزت النزعة السيكولوجية كما يلي : (غنطوس، 1979،ص151).

– تطبيق مبادئ روسو الطبيعية في أصول التدريس، عن طريق تنمية القوى والقدرات والطاقات الكامنة في الإنسان. وليس بحشو المعلومات في عقول الأطفال، لما يؤكد أهمية الأخذ بعين الاعتبار حاجات الأطفال وميولهم وقدراتهم عند تربيتهم .

– الاهتمام بالتربية الابتدائية باعتبارها القاعدة الأساسية في التربية والتعليم وحقاً طبيعياً يجب أن يتمتع به جميع الأفراد .

– التركيز على عملية اصلاح شؤون التعليم وأساليبه .

– تنمية القوى الكامنة عند الانسان بشكل منتظم ومتناسق .

– الاهتمام بدراسة العقل البشري وطرق التفكير على أسس علمية ، وجعل هذه الدراسة منطلقاً للتربية الحديثة .

ويعتبر بستالوزي وهربارت وفروبل قادة للنزعة السيكولوجية العملية .

أما النزعة العلمية الحديثة فقد كانت بذورها مأخوذة عن التربية الواقعية. فلو تتبعنا نشوء الحركة العلمية في عصر بيكون إلى أوائل القرن التاسع، لوجدنا أن هناك عدة عوامل أثرت على تطورها متمثلة في النزعة الطبيعية التي قدرت أهمية دراسة الطبيعة، والنزعة السيكولوجية، والعلوم البيولوجية والطبيعية إلى أن جاء القرن التاسع عشر وهو عصر العلوم. ومن مميزات النزعة العلمية الحديثة التي كان من أشهر قادتها سبنسر (1820 – 1903) ما يلي :(عبد الله مشنوق ، د ت، ص202-204.).

أولاً : الاهتمام بمادة الدرس ودراسة المشاهد والمظاهر الطبيعية .

ثانياً : الاعتراف بقيمة الطريقة الاستقرائية في دراسة الطبيعة .

كما أن الناس في هذا القرن بدؤوا يشعرون بأهمية إدخال اللغات العصرية الحية إلى المناهج لما لها من علاقة بحياة الانسان العملية، وأخذوا العملية، فتغير شكل الثقافة التي تقتضيها الحياة العصرية الحاضرة. وللنزعة العلمية الحديثة الفضل الأكبر في إدخال العلوم في المناهج الأولية والثانوية والعالية، وقيام علم النفس على أسس علمية حديثة .

واختلفت النزعة الاجتماعية التي تطورت في هذا القرن عن النزعة النفسية، التي ركزت على حياة الطفل النفسية وطرق التدريس وأصوله، وعلى دور التربية الاجتماعي والأعمال الاجتماعية ، وعملوا على تنمية المجتمع، وقالوا إن غاية التربية تنحصر في تهيئة الفرد للنجاح في الحياة الاجتماعية باعتباره عضواً فيها ، ولهذه النزعة ميزتان هما : (عبد الله مشنوق ، د ت، ص211).

1. الاعتناء بجعل مادة الدرس ملائمة لكل طور من أطوار التربية ، أي من حديقة الأطفال إلى الدراسة العالية في الجامعات .

2. إعادة النظر في المناهج لتصبح قادرة على تلبية المطالب الاجتماعية ، وتركز الاهتمام على العلوم الطبيعية والاجتماعية ، وإهمال التراث اللغوي والأدبي في المناهج .

– بعض ملامح الفكر التربوي في القرن العشرين:

حدثت عدة تغيرات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أهمها الزيادة الضخمة في السكان وتراكم المعرفة والعلوم، ومواكبة النهضة الصناعية والتقدم العلمي، وزيادة الوعي الشعبي، والتطبيق الديمقراطي، وكان على التربية المدرسية أن تتغير لتواكب هذه المستجدات، ولذلك أتجه المربون إلى إعادة النظر في محتوى التعليم وطرائقه لكي تفي بمطالب التغيرات العلمية والتكنولوجية بل تتقدم لتقود حركتها فلقد هيأت الدراسات العلمية للمجتمع طريقا واضحا لفهم طبيعة المجتمع ، وطبيعة الثقافة فيه ، فهم علميا مبنيان على التكامل والشمول التفاعل والوظيفية ،والاتساق، وبذلك ففي القرن العشرين أصبحت التربية مفهومها شاملا ، يتضمن أبعادا كثيرة أهمها.

أولا : من ناحية الأهداف التربوية:

-أصبحت للتربية أهدافها الاقتصادية، ووظيفتها وأهدافها الاجتماعية في إعداد الفرد للحياة في المجتمع.

-أصبحت التربية عملية ديناميكية تقوم على البحث والاستطلاع ، بعد أن كانت ميكانيكية تعتمد على نقل المعرفة.

-أصبحت للتربية وظيفة خلقية تقوم على الموضوعية في محاكات الحقائق العلمية.

ثانيا : من ناحية المحتوى والطريقة:

أصبح التلاميذ يعايشون ثقافة الحياة العصرية كلها بكل ما فيها من متغيرات لكي يسبروا أغوارها ويقفوا على مغزاها وجوهرها الحقيقي.

-أصبحت التربية بمفهومها الشامل من إشراف الدولة واستهدفت بناء الأخلاق على أساس فكري وعملي وفقا لقيم موضوعية انعكست فلسفتها العملية على العصر.

لم تعد التربية تعد الفرد للحياة فقط وإنما تعد لحياة متغيرة . (محمود السيد سلطان، 168، 173)

– نماذج من الفكر التربوي في القرن العشرين:

جون ديوي(1859-1956)م:

يعتبر جون ديوي أحد القمم الفلسفية والتربوية في القرن العشرين، بل أعتبر في رأي كثير من مفكري التربية والفلسفة قمة الفكر الفلسفي، والاجتماعي والتربوي، في هذا العصر خاصة الفكر الفلسفي الغربي ومما يؤكد تربعه على قمة الفكر التربوي العالمي أن الاتحاد السوفيتي قد دعاه بعد ثورة أكتوبر 1917للاستعانة بوجهات نظره في التربية السوفيتية كما دعته كل من الصين وتركيا لمثل هذه المهمة . (محمود السيد سلطان، 168، 173)

وقد ولد جون ديوي في مدينة برلنكتن في ولاية فرمونت (...) كان ابن بقال ومن عائلة مزارعة وأمه مثقفة تحب المطالعة فهي التي دفعته إلى الدراسة والتثقيف (...) كان في أوقات فراغه يبيع الجرائد ويرقم الأخشاب، وهكذا نشأت عنده كما عند الأمريكان عامة صفة حب العمل الحر والكسب الحر، درس ديوي الفلسفة في جامعة فرمونت، تأثر بفلسفة هيغل، لا سيما في ناحية التوحيد والتأليف ورفض الازدواجية في تقدير أهمية المنظمات الاجتماعية وترابطها وتفاعلها ونشوئها وتطورها. ومن العوامل التي أثرت على أفكار جون ديوي أفكار الفلاسفة والعلماء والمربين الذين اتصل بهم شخصيا عن طريق كتابتهم، ومنهم جورج موريس، و"دارون" و"تشارلس بيرس" و"وليام جيمس". كما تأثر بأفكار "ستانلي هول"، وببعض أفكار "روسو" و"بستالوزي" و"هربارت" و"فروبل" وغيرهم من المربين، كما تأثر إضافة إلى ذلك بالمبادئ التي تقوم عليها الحياة الديمقراطية، والقيم السائدة في المجتمع الأمريكي، وخصائص ومتطلبات المجتمع الصناعي، وقد وضع ديوي فلسفة تدعى" الفلسفة التجريبية المثالية."

أما أهم أفكار جون ديوي التربوية تتمثل في إيمانه بأن التربية هي الحياة وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلم وعملية بناء وتجديد، وعملية اجتماعية فالهدف الأعلى للتربية عنده هو تحقيق استمرارها، أو بعبارة أوضح إن هدف التربية هو أن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته وبالتالي نموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته، فينبغي أن لا يكون للتربية أهداف مفروضة عليها من الخارج، وفيما يتعلق بمناهج الدراسة ينتقد ديوي بشدة المفهوم التقليدي للمنهج الذي يقوم على تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وترتيبه ترتيبا منطقيا.

وليس المركز الحقيقي للمنهج في نظره هو المواد منفصلة عن بعضها البعض، بل مركزه الحقيقي هو نشاطات الطفل الذاتية وخبراته، فمن هذه النشاطات والخبرات يتكون المنهج، وبها يجب أن تبدأ المدرسة، وهي تتألف من ثلاث مجموعات أساسية:

المجموعة الأولى تتكون من أوجه النشاط والأعمال اليدوية التي تدور حول عدد من المهن الاجتماعية السائدة، والمجموعة الثانية من الأنشطة التي تتصل بالمواد الدراسية التي تساعد على فهم الحياة الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والعلوم والفن، والمجموعة الثالثة للأنشطة تشمل على الدراسات والخبرات التي تمكن التلميذ من تنمية قدرته على الاتصال والبحث العقليين كالدراسات المتصلة بالقراءة والكتابة والحساب.

ويرى جون ديوي أ ن المدرسة هي أولا مؤسسة اجتماعية والتربية في أساسها عملية اجتماعية، فالمدرسة صورة الحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع تلك الوسائط التي تهيئ الطفل إلى المشاركة في ميراث الجنس، وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية.

وفي المدرسة المثالية يتم التوفيق بين المثل الفردية والاجتماعية، وبالتربية يستطيع المجتمع أن يصوغ أغراضه الخاصة به، وأن ينظم وسائله ومواده، فيشكل بذلك نفسه في غير إسراف ليسير في الاتجاه المرغوب

ومن الحقائق التي توصل إليها ديوي:

1-أما نظريات التربية وممارستها يجب أن تكون أهم ما يشغل بال الفيلسوف.

2-شجب الازدواجية التقليدية لا سيما بين العلم والأخلاق.

3-تأثر بكتاب (وليام جيمس) في علم النفس وكانت نظرته لعلم النفس نظرة حياته فعالة ، غنية شاملة لتواصي الحياة الأخلاقية والإبداعية.

4-اعتبر القضايا الاجتماعية والاتصال والترابط بين بني الإنسان من أهم المواضيع التي يجب أن تعني بها الفلسفة (محمد فاضل الجمالي ، 195 ،200)

أهم أفكار جون ديوي التربوية تتمثل في إيمانه بأن التربية هي الحياة وليست مجرد إعداد للحياة وبأنها عملية نمو وتعلم وبناء وتجديد كما يرى جون ديوي: أن المدرسة هي أولا مؤسسة اجتماعية والتربية في أساسها عملية اجتماعية (...)، وفي المدرسة المثالية يتم التوفيق بين المثل الفردية والاجتماعية، وبالتربية يستطيع المجتمع أن يصوغ أغراضه الخاصة به، وأن ينظم وسائله ومواده ، فيشكل بذلك نفسه في غير إسراف ليسير في الاتجاه المرغوب، من أشهر مؤلفاته:

ط .الديمقراطية والتربية

ظ .المدرسة والمجتمع

ع .الاختبار والتربية

– التربية الحديثة:

-مفهوم التربية الحديثة:

تميز هذا القرن بعدد من الملامح التي عبرت عن نفسها بانتشار الحرية بين الشعوب، وظهور مبادئ الديمقراطية في العدالة والمساواة في حقوق الأفراد، ثم الثورة العلمية التكنولوجية التي أدت إلى تطبيق العلوم والمعارف الإنسانية المختلفة في ميادين الحياة. وكذلك ظهور مفاهيم التربية الحديثة، وما استندت إليه من مبادئ تربوية مهمة ساهمت في ازدياد رفاه الإنسان وسعادته.

والآن ماذا نقصد بالتربية الحديثة؟ إن كلمة حديثة هي كلمة نسبية، فما هو حديث في عصر ما يصبح قديما في عصر آخر، وهذا ينطبق على التربية والتعليم وسواها وخاصة أن التغير الاجتماعي هو سمة الحياة... وقد أطلق على التربية في مطلع هذا القرن اسم (الحديثة أو الجديدة.)

ولو نظرنا إلى هذه التربية الحديثة من منظور الخبرات التربوية في يومنا هذا لوجدنا أنها بدأت تفقد الكثير من سحرها وحداثتها على الرغم من أن أسسها ومبادئها مازالت قائمة.

إن رجال التربية والتعليم يعرفون جيدا الثورة الجديدة التي تحاول أن تغير المنطلقات السائدة بالتربية الحديثة، بل وتحاول أن تضع موضع التساؤل النظام المدرسي برمته، فمثل هذه الثورة التي بدأت تتشكل بعد منتصف هذا القرن تخالف ما كان يعرف في بدايته وحتى منتصفه باسم)التربية الحديثة.)

إن المنطقيات الجديدة تدعو إلى تغيير إطار المدرسة التقليدي، إطار المعلم والتلميذ والصف بالوسائل التكنولوجية التعليمية الحديثة كالراديو، والتلفزيون، والعقول الالكترونية، ووسائل التعلم الذاتي، وإلى تقديم تربية عبر مراحل العمر كلها من المهد إلى اللحد، بالإضافة إلى تربية أفراد المجتمع كلهم تتنوع حسب اهتماماتهم واحتياجاتهم.

مبادئ التربية الحديثة :إن أهم المبادئ الأساسية للتربية الحديثة هي:

–**تقدم التربية على التعليم :**لقد أولت التربية القديمة عناية خاصة لكسب المعرفة، فجعلت اهتمامها الأول تقديم المعلومات للمتعلمين، إلا أن التربية الحديثة تعتبر أن التعليم جزء من التربية العامة، وأن هدف المدرسة هو التربية ،أي تكوين الطفل تكوينا

متكاملا بحيث لا يغدو فقط أكثر علما ومعرفة، بل أكثر نضجا ونموا وتفتحا، وأقدر على التفكير والمحاكمة، وأكثر امتلاكا لوسائل التعليم وأدواته من خزن المعلومات الجديدة التي لا تلبث أن تنسى، مع أهمية معرفة أساسيات المعرفة، وهكذا أكدّت التربية الحديثة على أن المعرفة وحدها لا تحقق النجاح لأنها لا تحقق لصاحبها روح المبادرة والإبداع ولا تزوده بحس التنظيم وروح القيادة.

–**الطفل محور التربية :**أكدت التربية الحديثة على أهمية الانطلاق من الطفل نفسه، من قابليته وميوله وطباعه ومقومات شخصيته، فهو المركز الفعلي للعملية التربوية، بعكس التربية التقليدية التي جعلت مركز الثقل في العملية التربوية ليس الطفل نفسه بل المناهج والمعلم والامتحانات والنظام المدرسي، فأصبحت هذه كلها غاية التربية بدلاً من الغاية المركزية وهي تكوين شخصية الطفل.

–**الاستقلالية :**لقد امتازت التربية التقليدية في أنها تقوم على مبدأ السلطة، فالطفل متلق وعليه قبول ما يصدر عن المعلم دون إبداء رأيه في ما يتعلمه، ولكن التربية الحديثة تقوم على مبدأ الحرية، والاستقلال في التفكير، والنقد من خلال الحوار، فالمعلم والمتعلم عبارة عن حدين متكاملين، وقد نادى بالاستقلالية الذاتية معظم رواد التربية الحديثة وعلى رأسهم جون ديوي في كتابه)الخبرة والتربية(،ويجب علينا أن لا نخلط بين الاستقلالية والفوضى، فالاستقلالية لا تعني التمرد على القوانين والقواعد المرعية، يقول فيريير: إن إدخال الاستقلال إلى المدرسة يحرر الطالب من وصاية الراشد الشخصية ليضعه تحت وصاية ضميره الخلقي، ويؤكد الكثير من المربين على أن الحرية هي الخضوع للقانون،

فالقانون نظام عقلي فلا استقلال في سلوك لا يسيره العقل.

–**تربية فردية وسط روح جماعية :**تتضمن التربية الحديثة مطلبين يَبْدُوان لأول وهلة وكأنهما متعارضان، فترى أن تكون التربية فردية تتيح للفرد تحقيق كل إمكانياته التي تميزه عن سواه، فنجد المدارس الحديثة تتيح للفرد الحرية في اختيار النشاط الذي يناسبه واختيار مواد الدراسة التي سوف يتعلمها، وما وظيفة المدرس إلا التوجيه والإرشاد فقط، ورغم ذلك فإن المدارس الحديثة تسعى لتنمية الروح الجماعية بين الطلاب لمحاربة الأنانية، فتشجعهم على العمل التعاوني المدرسي بمختلف مجالاته.

-طرق ومناهج التربية الحديثة:

إن طرق ومناهج التربية الحديثة كثيرة ومتنوعة ومنتشرة في مختلف بلاد العالم، فمنها طريقة منسوري، ومراكز الاهتمام، وطريقة دالتون، وطريقة المشروع، ومدارس العمل، ولا يتسع المجال لشرحها هنا ولكن سوف نركز على أبرز هذه الطرق وهي طريقة المشروع في مرحلة المراهقة، وإلى فروبل الذي أوضح في كتابه)تربية الإنسان(أهمية النشاط الذاتي للمتعلم، وكيفية الاستفادة من الهدايا.

وإلى بستالوزي الذي بين أهمية تعليم الأشياء قبل الأقوال، وقد استعمل هذه الطريقة الكثير من المربين، إلا أن هذه الطريقة تظل وثيقة الارتباط بكلباتريك.

لقد عرف كلباتريك المشروع بأنه الفعالية الهادفة المطبقة في مجال اجتماعي ضمن نطاق المدرسة، وفي عام 1921م نقّح التعريف فأصبح عنده "أي وحدة أو فعالية أو تجربة ذات دوافع داخلية موجهة نحو هدف معين". وتستهدف هذه الطريقة أمرين أساسيين:

الأول :تقديم محتوى مشخص حي للتعليم بدلا من المحتوى اللفظي.

الثاني :إتباع المجرى الطبيعي لاكتساب المعرفة بدلا من التعليم التلقيني.

أما الأسس النفسية لهذه الطريقة فهي:

أ. مبدأ الاهتمام بطبيعة المتعلم واعتبارها المحور الرئيس.

ب. مبدأ النشاط الذاتي، والتعليم عن طريق العمل.

ج. مبدأ الحرية في التعلم.

أما الأسس الاجتماعية لهذه الطريقة، فتنطلق من اعتبار أن المدرسة مؤسسة اجتماعية، والنظر إليها على أنها صورة للحياة الاجتماعية، وأنها هي الحياة نفسها .وطريقة المشروعات تقسم قسمين رئيسيين هما:

–**المشروعات الفردية :**وهي نوعان: فإما أن يعطي مشروع واحد لجميع الطلبة في الصف، وإما أن تكون هنالك مشروعات مختلفة توزع على طلاب الصف ويكون لكل طالب مشروع معين.

–**المشروعات الجماعية :**وفيها يعمل الطلاب معا في مشروع واحد.

–خطوات طريقة المشروع:

يتألف المشروع من الخطوات التالية: تحديد الهدف، ورسم الخطة، وتنفيذ المشروع، وتقويمه.

وتواجه هذه الطريقة بعض الصعوبات عند تنفيذها، بعضها يرتبط بإدارة الصف والآخر باختيار المشروع. وبعضها يتعلق بالارتباط والتسلسل في منهاج الدراسة وأخيرا تنسيق المشروعات مع تنظيم المدرسة التقليدية.

ومن أشهر المربين في القرن العشرين جون ديوي ووليام كلبا تريك، وجورج كاونتس، وبويد بود، وجون تشايلدز،و"هاور لدرج" و"كارلتون واشبورن"، وسنتعرف على أكثرهم شهرة في العصر الحديث وأهم آرائه التربوية.

نماذج ومميزات الفكر التربوي العربي في العصر الحديث

لقد عانت المجتمعات العربية في العصور الأخيرة كثيرا من مختلف أساليب القهر والجهل للاستعمار، وان تعددت أشكاله وألوانه مما انعكس سلبا على حياة الفرد العربي وشتت كيان ولحمة الوطن العربي الإسلامي، فما إن استفاق من نكبة حتى وقع في أخرى، وباتت الحقيقة واضحة في أن الغريب عن الوطن، واللغة، والعرق، ضرره أكثر من نفعه وان أبدى النوايا الحسنة حيث يعد عصر المماليك الأتراك خير دليل على ما قلنا، فما إن جثم الجيش الانكشاري على سدة وعرش الدولة الإسلامية، حتى احكم قبضته على مقاليد الدولة وعمل على إضعاف كل مقومات القوة لدى العرب، حتى لا يستفيقوا من غفلتهم ويبقوا تحت إمرتهم ولا يتطلعوا إلى الانفصال أو التحرر عن الدولة العثمانية، والتي مع الأسف عمل العرب هم أنفسهم على غرسها في جسدهم وكيانهم حينما استثمروا في أبناء السبايا، وشعوب الأراضي التي فتحوها غير العربية، لبناء جيوشهم أثناء توسعاتهم وفتوحاتهم الأخيرة، فكان من الطبيعي أن يكون ولاء هؤلاء لأوطانهم عندما تشتد سيقانهم وسواعدهم وقوتهم، كما كان من بله العرب أن يضنوا غير ذلك، ولم يشفع لهم زهدهم وتخليهم عن مقاليد حكم الدولة الإسلامية تحت أي طائلة من الأسباب في بقائهم متمتعين بحقوقهم الإسلامية، والإنسانية، لان هذا الأمر لا يساعد على استمرارية الدولة العثمانية، كانت هذه الحقبة من الحقب السوداء في تاريخ الفكر العربي

وتجهيله، ثم توالت الأيام والسنوات ليتهيأ العقل العربي ويغلب عن أمره فيحيد عن جادة الصواب، ويتلاءم مع سياسة الجهل والاتكال والاستسلام للغير، لتجده الدول الاستعمارية الغربية على أتم أهبته واستعداده لسياسة الانبطاح ، وما يزيد الأمر غرابة هو امتداد هذا الانبطاح الفكري وبقاؤه جاثما على وفي ثقافة النخبة المزعومة للشعب العربي، مما حافظ على استمرارية هذا الاستعمار رغم رحيله البيولوجي.

ان انبهار العرب بما جلبه الاستعمار من تكنولوجيا، مثل مثيرا لإعمال عقل بعض المفكرين، ولكنه محدود الفاعلية لم يرق لبعث نهضة الحضارة التي تعيد مجد العرب الماضي التليد، ولم يحرك عجلتها التي صدئت دواليب محركاتها بعد ما توقفت منذ عصر الموحدين.

ونجد محمود السيد سلطان يعالج هذا الامر حيث يقول: إذا كان العصر المملوكي التركي قد سلب الوطن العربي الإسلامي – وفي قلبه مصر -كل مقومات العلم الطبيعي، وتطبيقاته، في مجالات الحياة المختلفة، كما سلبه طرائق التفكير الحر، والخلق والإبداع والابتكار، في جميع مجالات هذه الحياة أيضا، كما سلبه وسائل الإسهام في حكم نفسه أو ممارسة أي نوع من الديمقراطية (...)

ولقد كان هذا الغزو الفرنسي بداية القرن التسع عشر، غزوا ثقافيا وحضاريا للبلدان العربية، فثقافة العصر الحديث تغزو ثقافة تخلفت، وحضارة العصر الحديث تغزو حضارة متعفنة.

أ – نماذج من الفكر التربوي العربي في القرن التاسع عشر

1.رفاعة الطهطاوي:

لقد وفق رفاعة الطهطاوي إلى وضع أسس تربوية تبرز تأثره بفكر التربويين الغربيين في عصره وبالتراث الإسلامي الذي فهمه فهما جديدا يتفق إلى حد كبير مع مغزاه الحقيقي.

فهدف التربية ووسيلتها عنده تتلخص في: تنمية المولود ابتدءا من ولادته إلى بلوغه حد الكبر، وتنمية روحه بالمعاني الدينية والمعاشة.

وتتلخص التربية عنده في:

أ– التربية هي تنمية حسية ،وعقلية تقوم على أصول معلومة، لتحقيق نمو أفضل

ب– هي للجنسين لا فرق عنده بين البنين والبنات في حقهم التربوي، وأوضح أهمية تعليم البنات في تنشئة الأجيال الجديدة، مستشهدا في ذلك بزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ت–التربية عنده عملية مستمرة من المهد إلى اللحد، تأثرا بالفكر الإسلامي.

ث– تتم التربية بواسطة المعارف الدينية والحياتية.

ج– للتربية أهداف خلقية، وأهداف وطنية.

ح– صلة المعلم بتلاميذه ينبغي أن تكون متينة ، قائمة على الاحترام بين الطرفين.

خ– التربية عملية اجتماعية، تستهدف تحقيق رفاهية الأمة وتقدمها.

2.علي مبارك

– دعا إلى تعميم التعليم بحيث يعم المجتمع كله، على اعتبار انه حق للجميع ، وكان يرى في ذلك قضاءا على الارستقراطية في التعليم، ونشر الوعي العام المستنير والوعي القومي.

– كان هدفه من التعليم تحقيق التقدم الاجتماعي، والخلقي لأبناء المجتمع جميعا. كانت مناهجه في تحقيق هذه الأهداف، هي تعليم الصبية علوم الطبيعة التي تنفعهم في أمور حياتهم، والعلوم الدينية التي تنفعهم في آخرتهم.

– عني بإعداد المعلم عبر معاهد متخصصة.

– أما الكتاتيب فقد عني باختيار فقهائها وعرفائها واشترط أن يكونوا مجيدين لحفظ القرآن، والخط وقواعد اللغة والحساب، وحدد لهم شهادة يحصلون عليها من الأعيان أو ندوب من ديوان المدارس(.محمود السيد سلطان، 206، 207،)

3.محمد عبده

نادى الشيخ محمد عبده إلى بتجديد طرائق التعليم في الأزهر، والتخلص من الأفكار العفنة ويقصد بالأفكار العفنة تلك التفسيرات الخرافية للظواهر الطبيعية. وبانتشار فكر محمد عبده التجديدي دخلت فكرة الإصلاح طورا جديدا، جعل من الأزهر ينبوعا لتهذيب النفس والفكر، والخلق، والدين وسيلته في ذلك تغيير نظام المدارس تدريجيا حتى يتحقق الاهتمام بالفهم بدلا من العناية بالكتب، داعيا إلى تغيير المناهج(...)يتبعها تعديل سلوك التلاميذ الخلقي بإشراف مدرسهم كقدوة وموجه لهم

ب – مميزات الفكر التربوي العربي في القرن العشرين

بعد استقلا ل بعض الدول العربية في الربع الأول من هذا القرن العشرين، وبعد حصولها على تحررها الاقتصادي ، والاجتماعي ، والفكري ، قامت بإرسال بعثات إلى الدول الغربية من اجل جلب الخبرة لمواكبة هذا التغير والواقع الجديد، لكن الكثير من هذه البعثات تأثرت سلبا بالحضارة الغربية ، حيث تماهوا مع الثقافة الغربية ، وفقدوا الكثير من القيم الإسلامية التي كانوا عليها.

ولقد تميز الفكر التربوي في هذه الحقبة بما يلي: المنطقة العربية أصابها الكثير من الاضطراب والخلل التربوي سواءا في الأهداف أو المناهج أو الكتب أو الطرق نتيجة لعدة أمور منها:

- إن هذه الفلسفة بكل عناصرها التطبيقية قد انحرفت عن طريقها الصحيح إن هذه الفلسفة لم تكن وحدها على الساحة العربية، وإنما دخلت إلى جانبها فلسفات تربوية أخرى غريبة عن ارض هذا الوطن العربي، حاولت في كثير من الأحيان صرع القيم التربوية الإسلامية ، وفي حيان أخرى التأقلم معها.

– الأصول الاجتماعية والثقافية للتربية :

إن الأصول الاجتماعية والثقافية للتربية هي فرع من فروع أصول التربية تمخض عن التفاعل الحتمي بين التربية وعلم الاجتماع والانثربولوجيا يدور العلم الأول حول المجتمع بنظمه ومؤسساته ومقوماته ويدور العلم الثاني منها حول الإنسان بخصائصه وطرق معيشته ويهتم بدراسة الثقافات المختلفة بجوانبها المتعددة وأثرها في نمو تطو الإنسان وهو ما يسمى بالانثروبلوجيا الثقافية كما يهتم بدراسة تطور الإنسان وتكيفه مع بيئته الطبيعية ويسمى بالانثروبلوجيا الطبيعية ويحاول هذا العلم أي الأصول الاجتماعية والثقافية

للتربية التوفيق بين خصائص الأفراد وصفاتهم وقدراتهم وميولهم وحاجاتهم وبين المجتمع بما له من مقومات ونظم ومؤسسات وظروف جغرافية وسياسية واقتصادية وعلي التربية أن تعمل في إطار ثنائي يضم الفرد والمجتمع معا يراعي ظروفها وحاجاتها ويحقق رغباتها ويلبي مطالبهم في الوقت نفسه ومن أبرز المداخل في الدراسة العلمية الاجتماعية للتربية مدخل يدرس النظام التعليمي من داخله وبجميع عناصره وجوانبه والعلاقات المتشابكة والمتداخلة بين هذه العناصر وبينها وبين النظام التعليمي الذي يشملها معا ومدخل يدرس النظام التعليمي في علاقاته بالأنظمة الأخرى فالنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإداري وغيرها في علاقاتها بالنظام العام وهو المجتمع الذي يضمها كما يدرس العمليات المختلفة التي يعيش فيها الفرد خارج النظام التعليمي

تستمد الأصول الاجتماعية الثقافية علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا وهي الأصول التي حولت التربية من عملية فردية إلي عملية اجتماعية ثقافية وذلك أن المدخل إلي فهم التربية ينبغي ألا يكون من زاوية الفرد وحده أو من زاوية المجتمع مجردا عن حياة الأفراد بل انه مدخل متكامل يقوم علي الدراسة العضوية بين الفرد وبيئته التي تعني غيره من الأفراد وما يعيشون فيه من أنظمة وعلاقات وقيم ومفاهيم وتقاليد فالتربية لا يمكن تصورها في فراغ إذ تستمد مقوماتها من المجتمع الذي تعمل فيه كما أنها تهدف إلي تحويل الفرد من مواطن بالقوة يحكم مولده في المجتمع إلي مواطن بالفعل يفهم دوره الاجتماعي ومسئولياته وسط الجماعة التي ينتمي إليها وهي كذلك السبيل إلي استمرار الثقافة مهما كان الطابع العام لهذه الثقافة ودرجة تطورها ومهما كانت الصورة التي تأخذها العملية التربوية فهي تحدث في المدرسة وفي المنزل وفي غيرهما من المنظمات والمؤسسات وهي تحدث بطريقة مباشرة فالثقافة لا تولد مع الأفراد ولا تنتقل إليهم بيولوجيا كما هو الحال بالنسبة للون الشعر أو البشرة وإنما يكتسبونها بالتعلم والتدريب والممارسة في دوائر الحياة الاجتماعية التي يعيشون فيها منذ مولدهم

أ-الأصول الاجتماعية للتربية :

التربية نظام اجتماعي لها جميع خصائص النظم الاجتماعية وتتكون بنيتها من نفس العناصر التي تتكون منها النظم الاجتماعية ولذلك فإن دراسات علم الاجتماع التي جريها علم النظم الاجتماعية تستفيد منها التربية بشكل مباشر وهذه علاقة واضحة ومباشرة بين التربية وعلم الاجتماع كما تستمد عملية التربية أسسها ومناهجها وأهدافها من المجتمع ومن ثقافته لان عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتولاها التربية إنما تحقق عضوية الجيل الجديد في المجتمع عن طريق تعليمه لغة الجماعة وفكرها وتقاليدها وعاداتها وعرفها وقيمها ومهاراتها فالثقافة هي الوعاء الذي تستمد منه التربية أصولها ومناهجها وأهدافها المختلفة .

ويمكن فهم الأصول الاجتماعية للتربية من خلال الأوضاع الاجتماعية والأنماط السيكولوجية السائدة في التربية المجتمعية غير أن هناك ثمة جدل سبق الإشارة إليه وهذا الجدل قائم بين علماء التربية بشأن الوظيفة الاجتماعية للتربية ومؤدي هذا الجدل اتجاهان :

1- الإتجاه الأول :وهذا الاتجاه يقرر بان التربية عليها أن تساير الأوضاع المجتمعية كما هي أي أن وظيفتها تنحصر في المحافظة علي الأوضاع القائمة والتربية بهذا المعنى يطلق عليها تربية محافظة .

2- الإتجاه الثاني : وهذا الاتجاه يتعدى في هذه المحاولة إلي محاولة أخرى ترى بان التربية هي أداة أساسية لخلق أوضاع اجتماعية جديدة تفضل الأوضاع القائمة وتتميز عليها وإنها الوسيلة الكبرى لإحداث تغيرات أساسية في الأبنية الاجتماعية بهدف الوصول إلي أفضل النظم والأوضاع الاجتماعية التي تحقق أهداف أفضل للفرد والجماعة .

والتربية بحسب هذا الرأي الأخير هي التي تقرر الصيغة الاجتماعية الأكثر صلاحية للمجتمع ومن ثم فهي خلاقة ايجابية وليست سلبية تقف أهميتها عند مجرد المحافظة علي ما هو موجود فقط . أنه قد ظهر اتجاه ثالث حاول التوفيق بين الاتجاهين المتعارضين السابقين وهذا الاتجاه ينظر إلي التربية نظرة شمولية .

علاقة التربية بالمجتمع يعتمد المجتمع بصورة كلية على التربية فهي سر بقائه واستمراره وتقدمه وتطوره وبذات الوقت فان التربية لا يمكن أن تحقق أهدافها ما لم تتحمل مؤسسات المجتمع المختلفة مسؤولياتها في الارتقاء بالعملية التربوية شكلاً ومضمونا، ذلك أن مؤسسات المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والتربوية تعمل على تحقيق انسجام الفرد واندماجه في الإطار الثقافي العام للمجتمع بالشكل الذي يؤدي إلى تكيفه مع البيئة الاجتماعية. ويمكن أن نلمس علاقة التربية بالبيئة الاجتماعية من خلال الأتي:

1- التربية والضبط الاجتماعي: إن الضبط الاجتماعي من عناصر المجتمع المهمة كونه وسيلة مهمة للأمن والاستقرار والتماسك والانسجام والتكامل الاجتماعي فهو قاعدة لتنظيم العلاقات الاجتماعية التي تربط عناصر المجتمع وتميز أعضاء المجتمع عن سواهم، وقد تلعب دور فعال في إقرار عملية الضبط الاجتماعي وتعزيزه من خلال تمرير القيم والعادات والمفاهيم التربوية الصحيحة إلى أفراد المجتمع عبر البيت والمدرسة والجامع وكافة الجماعات المرجعية التي ينتمي لها الفرد، هذا وان وسائل الضبط الاجتماعي قانونية–رسمية– وغير رسمية تسهم في استقرار المجتمع وأمنه وتنظيمه وتقوم التربية بتثبيت ركائز الضبط في المجتمع بكافة

أنواعه ومهما يكن من أمر فان الضبط الاجتماعي القانوني –الرسمي–والعرفي–غير الرسمي هو سلسلة من العمليات الاجتماعية التي تلزم الفرد والجماعة بالانصياع لها مما يؤدي إلى خلق حالة التوافق والاتزان وان وسائل التربية ما هي إلا ميادين للتربية وهي مادتها وهدفها في كل وقت وحين. فعن طريق التربية يمتثل الإنسان لقوى الضبط ويتصرف طبقاً لقواعد ومعاير المجتمع وبهذا فالتربية وسيلة فاعلة من وسائل الضبط الاجتماعي

2- التربية وثقافة المجتمع: الثقافة كما يعرفها تايلور هي (ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والقيم وأساليب العمل والتفكير وكل الوسائل المادية التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع، وفي ضوء هذا التعريف يمكن القول انه لا وجود للفرد أو المجتمع ولا وجود للثقافة بمعزل عن الفرد والمجتمع، كما أن الثقافة هي من توفر للفرد صور السلوك والتفكير والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها كما أنها وسيلة لإشباع حاجاته المادية والمعنوية، وتتصف الثقافة بكونها مكتسبة من صنع الإنسان فهو من شكلها وصاغها، ولان التربية وسيلة المجتمع في نقل ثقافته فإنها تعمل على تنمية قدرات الفرد وتذهيب ميوله وإكسابه مهارات في نواحي الحياة المختلفة كما تعمل في الوقت نفسه على إعداد الأفراد لان يعيشوا سعداء في الجماعة ذلك أن الشخصية تكتسب مقوماتها من خلال تربيتها، إن التربية من خلال دورها في نقل التراث الثقافي للمجتمع تقوم بتوحيد مشارب الأفراد الثقافية واتجاهاتهم الفكرية أو انتمائهم إلى قيم اجتماعية واحدة، بمعنى آخر تقوم بصهر الأفراد في بوتقة ثقافية واحدة.

ب– الأصول الثقافية للتربية:

تعني الأسس الثقافية بالنسبة للتربية تلك الحالة المتبادلة بين أوضاع الثقافية والأوضاع التربوية في المجتمع أي أن التأثير المتبادل بين الأوضاع التربوية والأوضاع الثقافية داخل البناء الاجتماعي ونظرا للأهمية النسبية التي تتمتع بها الأوضاع الثقافية في المجتمع بالنسبة للتربية والفكر التربة بصفة عمة فسوف نتناول الأوضاع الثقافية بشيء من التفصيل .

وإنما كانت الثقافات تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف العصور كان لكل مجتمع نوع معين من التربية تختلف بدورها باختلاف هذه المجتمعات وباختلاف تك العصور . وهذه الثقافة يعكف علي دراستها علماء دراسة الثقافة اللذين يتبعونها عند المجتمعات المختلفة وخاصة المجتمعات البدائية وهم ما يعرفون باسم الانثروبولوجيين أي الذين يدرسون ثقافة الإنسان وتطوراتها كما يعكف علي دراستها علماء الاجتماع فيدرسون النظم وتجسيدات الثقافة فيها وقد أمدت هذه الدراسات التربويين بمجموعة من

الحقائق والمفاهيم الاجتماعية والثقافية فتحولت النظرة إلي التربية من عملية فردية إلي عملية اجتماعية ثقافية حيث أنها تستمد مقوماتها من المجتمع ومادتها من ثقافته لكي تهيئ للناشئين فرص النمو من خلال عناصرها حتى تتجلى أمامهم وتتضح خصائص الأدوار الاجتماعية التي سيقومون بها في المجتمع .

وهذه الأصول الثقافية والاجتماعية هي التي جعلت كثيرا من الأفكار والمفاهيم الفردية تتوارى من المجال التربوي لتصبح العملية التربوية عملية اجتماعية تماما فتتحول النظرة إلي المعرفة التي يحصلها الناشئين إلي معرفة اجتماعية يصلون إليها من خلال الخبرات التي يتفاعلون معها ثم توظف هذه المعرفة في خدمة الحياة الاجتماعية لهؤلاء الناشئين وهذا يفرض علي المربين أن يدرسوا ثقافة مجتمعهم حتى يدركوا ذلك الارتباط العضوي بين ما يعلمونه للناشئين وبين ثقافة مجتمعهم وان يدرس المربون حركة التغير الاجتماعي ومساراته في المجتمع والمطالب المختلفة لنظمه الاجتماعية سواء من القوى البشرية أو التنظيمات الإدارية والقانونية أو من المستوى التكنولوجي اللازم لها حتى تستجيب لهذه المطالب .